

هنري الرابع ملك فرنسا

١٥٨٩ — ١٦١٠

أوقصة الصراع بين الطائفية وسيادة الروح القوية

الدكتور جميل عبيد

تعرضت فرنسا خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر على وجه الخصوص لحرب دينية طاحنة إستمرت نحو ٤٠ عاماً ١٥٦٢ - ١٥٩٨ وكادت تتحطم تلك الوحدة التي حققتها فرنسا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر كما كاد يخبو ذلك الشعار الذي رفعه أحد ملوك فرنسا - فرنسوا الاول - وهو ملك واحد ودين واحد وقانون واحد .

والأصل في فرنسا انها كانت مذهبياً كاثوليكية مثلها مثل جميع دول أوروبا الغربية وشعوبها إلى ان بزغ فجر النهضة الأوروبية وتحركت موجات الإصلاح الديني بزعامة بعض المصلحين من أمثال لوثر وكلفن - ويبدو ان تعاليم كلفن كانت اقرب الى مزاج الفرنسيين ففضلا عن كونه فرنسياً فإنه نشر أفكاره ومعظم مبادئه باللغة الفرنسية . ورحب جانب كبير من الاشراف والافطاعيين بهذا المذهب الجديد وقرروا انهم أصحاب الحق في اختيار المذهب الذي تكون له السيادة في أقاليمهم . وهكذا انتشر مذهب كلفن في بعض انحاء فرنسا ومدنها وخاصة الاجزاء الجنوبية منها كما انضم

اليه كثيرون من بين الطبقة البورجوازية فى المدن واعداد كبيرة من الفلاحين والعمال الذين كان عليهم ان يتبعوا سادتهم فى مذهبهم كما كسبت حركة الاصلاح لنفسها فيما بعد اصدقاء فى الجيش وفي برلمان باريس (١) .

والواقع ان كنيسة فرنسا الكاثوليكية مرت خلال منتصف القرن السادس عشر بأكبر أزمة تعرضت لها واستمرت تلك الازمة نحو خمسين عاماً . وكان سببها الاساسي راجعاً إلى المساوىء التي غلبت على حياة رجال الدين والجهل الذي تفشى بينهم مما دفع كثيراً من المخلصين للكاثوليكية الى الخروج عليها والانضمام الى حركات الاصلاح . ان تدهور الكنيسة الكاثوليكية اذن وما جلتل رجالها من عار كان السبب في فتح المجال واسعاً أمام الاصلاح . وإذ حولت الحروب الطائفية التي تلت ذلك كثيراً من دور العبادة الى اطلال فان أي محاولة لأصلاح الكاثوليكية من داخلها لم يكن مقبضاً لها إلا القليل من النجاح وكان لابد لها من مدى طويل إذ لابد من البدء برفع المستوى الفكري والثقافي لرجال الدين وللنظم الدينية ولم يكن هذا متيسراً لأن ملوك فرنسا وهم اصحاب الحق في اختيار رجال الدين للأسقفيات التي كانت عموماً تتصف بالثراء الفاحش إتخذوا من ممارسة هذا الحق وسيلة لأرضاء الأسرات التي تدين لهم بالاخلاص أو اخضعوا الاختيار لما يمكن ان يعود عليهم شخصياً من منافع يتعهد بأدائها لهم من يقع عليهم الاختيار بصرف النظر عما يكونون عليه من الناحية الدينية أو الفكرية أو الثقافية (٢) .

وقد اطلق على المنضمين لحركة الاصلاح في فرنسا اسم الهييجونوت وهي ترجمة ركيكة لكلمة المانية تعني المتحالفون . وبرغم الاضطهادات

التي تعرض لها الهيجونوت فإن عدد الذين تحولوا الى عقيدتهم كان في نمو مطرد وكان دعاة الكلفنية يتنقلون بين الناس سرّاً ليشيروا فيهم روح البطولة والتضحية والاستشهاد . ومع ذلك بقيت للكنيسة الكاثوليكية قوتها الملكية وأنظمتها الكنسية العريقة بالإضافة الى تأييد جماهير باريس كما كان يقبّع من ورائها قوة أسبانيا الكبيرة .

خلال هذه المملاسات توفي هنري الثاني ملك فرنسا بفعل حادث طاريء وقع له اثناء اشتراكه في مهرجان أقيم للفروسية والبطولة في عام ١٥٥٩ . وترك بعونه المفاجيء زوجة إيطالية الاصل وثلاثة ابناء ارتقوا عرش فرنسا واحداً بعد الآخر ليمثلوا اضعف ثلاثة ملوك تولوا عرشاً من عروش أوروبا . وهم بالترتيب فرنسوا الثاني ١٥٥٩ - ١٥٦٠ الذي أقعده المرض طوال ثمانية عشر شهراً بقيها بين الحياة والموت ، وشارل التاسع ١٥٦٠ - ١٥٧٤ الذي إنهارت اعصابه إذالم نقل انه اصيب بالجنون في نهاية عهده خاصه بعد توريثه في مذبحه سان برثلميوس الشهيرة ، وهنري الثالث ١٥٧٤ - ١٥٨٩ الذي أنصف بالانحلال واعتاد ان يتحلّى بالاقراط والعقود النسائية . ولم يكن غريباً ان معظم الامر انتقل خلال عهد هؤلاء الابناء الى يد أمهم كاترين دي مديشي التي أعتاد ابنها الثالث المدلل ان يطلق عليها اسم المرأة الأفعى . وهذه كانت تعاني من مركب نقص مزدوج لكونها امرأة ولكونها اجنبية (٣) .

ولما كانت فرنسا منقسمة بين الكاثوليك والبروتستانت وهم الهيجونوت فقد تصورت بحكم ضعفها كأمراة وكأجنبية ان سلامتها وسلامة عرش ابنائها لا تكون إلا بتحقيق ما نهب عنه اليوم بأسم مبدأ توازن القوى بين الطوائف المتناحرة .

ان اكبر قوة ارسقراطية ذات شعبية في فرنسا إذ ذاك كانت أسرة جيز المتطرفة في كاثوليكيته وفي مساندة المصالح الكاثوليكية في البلاد والتي تزعمها فرنسوا دوق جيز قائد فرنسا العظيم الذي أصبح معبود الشعب الفرنسي بعد دفاعه المجيد عن متمر واستيلائه على كاليه . هذه الأسرة سيطرت على خمس عشرة اسقفية بالإضافة إلى املاك واسعة على طول الحدود الشرقية ، حصلت على المساندة المعنوية والدينية لهاباروما ، كما أمدتها أسبانيا بالعون وارتبطت بملك اسكتلندا وملك فرنسا برابط المصاهرة وكان الهدف الاكبر المستتر لتلك الأسرة هو ان تصل الى حكم فرنسا .

الأسرة الثانية هي أسرة البوريون وزعيمهما انطوان ملك نافار واخوه لويس دوق كونديه ويتزعمان جماعة الهيجونوت ونفوذهما عظيم في غرب فرنسا وجنوبها الغربي وكذلك في نورمنديه حيث اجتذبوا كثيراً من صغار النبلاء واعيان الريف .

الأسرة الثالثة هي أسرة منمورنسى وهي كاثوليكية ولكنها وقفت موقفاً وسطاً بين الكاثوليكية والهيجونوت بدافع حقدها على أسرة جيز لاستئثارها بالنفوذ . تزعم أخذ ابناء عمومة هذه الأسرة وهو جاسبار دى كوليني اميرال فرنسا طائفة الهيجونوت واصبح بفضل ما اثبتته من شجاعة واخلاص لعقيدته هدفاً لنقمة الكاثوليك . .

أن الصراع بين هذه الأسر الكبيرة على الاستئثار بالسلطة وعلى التحرر من سيطرة العرش كان من عوامل احماء الحروب الدينية في فرنسا بالإضافة الى سياسة الملكة القائمة على اشغال التنافس بينها وخاصة بين اسرتي جيز وبوريون حتى تتحطم قواهما وتخلص من كليهما . ان أتفه حادث كان فيه الكفاية وسط هذا الجو المتوتر لأشغال نيران الفتنة بين هذه الفئات

والطوائف . لقد حاول آل جيز الكاثوليك إستعراض عضلاتهم فتم اعدام بحام كلغني في باريس ، وقبض على كوندية من زعماء الهيجونوت وحكم عليه بالاعدام ، كما وقعت عقوبات صارمة على جماعة من الهيجونوت تأمروا ضد آل جيز وضد الملك (٤) .

إلا ان تزايد قوة آل جيز كان يخل بسياسة توازن القوى التي وضعتها الملكة الوالدة ، ومن ثم سارعت فور وفاة الملك فرنسوا الثاني واعتلاء شارل التاسع للعرش بأصدار مرسوم في كانون الثاني ١٥٦٢ أقر شرعية ممارسة الهيجونوت لعبادتهم علناً وفقاً لشروط معتدلة . ولكن قوات آل جيز ذبحت بقيادته بعض الهيجونوت بينما يقيمون صلواتهم في مكان فسيح امام مدينة فاسى على طريق باريس في ١ / ٣ / ١٥٦٢ فأنفجرت الحرب الأهلية إذ اعتدى الكاثوليك في الأقاليم المختلفة على الهيجونوت أسوة بزعيمهم وانتقم الهيجونوت بمهاجمة الكنائس الكاثوليكية وقتلوا عدداً كبيراً من رجال الدين الكاثوليك وهنا التجأ كل من الفريقين الى دول خارجية فأستنجد الهيجونوت بالملكة اليزابت ملكة إنجلترا ، التي اشترطت الاستيلاء على ميناء ديب والهافر من فرنسا ، مع وعد متعلق بكالية أيضاً مقابل ان تقوم بتقديم المعونة ، بينما حصل كاثوليك فرنسا على معونات عديدة من فيليب الثاني ملك أسبانيا .

إن هذه الفتنة الطائفية التي ثارت بين أنصار كل من المذهبين طحنت بين فكيتها المواطنين المتلاصقين ولم تقم أدنى اعتبار حتى لأواصر الجيرة أو إلزامه . لم يكن هناك قانون يحمي المعتدى عليهم ولا سلطة تستطيع حفظ الأمن وحماية الأرواح .

ومع ان كفة الكاثوليك كانت هي الأرجح إلا ان هذا كان بهينه سبب إثارة مخاوف الملكة كاترين دي مديتش من تسلط زعمائهم من أسرة

دي جيز الذين أشد غرورهم فلماذا لا يدفعهم هذا الغرور إلى محاولة نقل عرش فرنسا إليهم ومن ثم منحت الهيجونوت بمقتضى مرسوم سان جرمان - آب ١٥٧٠ - امتيازات عديدة من بينها حرية ممارسة العبادة في بلديتين من كل إقليم إداري من أقاليم فرنسا الاثنى عشر والسماح لهم بأربع مدن محصنة يحق لهم الالتجاء إليها خلال الازمات هي : لاروشل ومنتوبان وكونياك ولا شاريتيه . . وكذلك اعطى كبار الاشراف الحق في اقامة شعائر الدين طبقاً لمذهب الهيجونوت في قصورهم مع السماح لكل من يرغب في حضورها (٥) .

إلا ان هذه الامتيازات التي حصل عليها الهيجونوت اطعمتهم في المزيد وحاول قائدهم الشجاع دي كولينى السيطرة على الملك شارل التاسع وعلى فكره واتجاهاته ، هادفاً إلى أحداث انقلاب في السياسة الداخلية لفرنسا بالتقليل من هوة الخلاف بين الكاثوليك والهيجونوت وأحداث انقلاب آخر في السياسة الخارجية بالتحالف مع انجلترا ضد أسبانيا . .

خشيت الملكة الوالدة إفلات ابنها من دائرة نفوذها ، كما خشيت ان يؤدي الاندفاع في تحقيق هذه السياسة الى إتاحة الفرصة لآل جيز لكي يضربوا ضربتهم بأسم الدفاع عن الكاثوليكية كعقيدة وقد يستطيعون الاطاحة بالملك على أساس انه أصبح أداة أو العوبة فى يد زعيم الهيجونوت ومن ثم يسيطرون على فرنسا وقد يقفزون الى العرش .

ومن ثم دبرت الملكة الوالدة مؤامرة للتخلص من كولينى فلما اقتضحت هذه المؤامرة أو بعبارة أخرى باءت بالفشل بينما تهج باريس بجماهير الهيجونوت الذين جاءوا للاحتفال بزواج الامير هنري دى نافار من الاميرة مرجريت شقيقة الملك ، لم تجد مفرأ من تنفيذ مؤامرة اكبر

شملت جميع زعماء البروتستانت في محاولة منها لتغطية موقفها . نجحت الملكة الأم في إيهام ابنها شارل التاسع بأن الهيجونوت يدبرون أمراً ضد عرش فرنسا وإن الرد عليهم لا يكون إلا بالقضاء عليهم وأمكن ذلك فعلاً في فجر يوم ٢٤ / ٨ / ١٥٧٢ وهو يوم القديس بارثلميو . إن دقائق أجراس قصر العدل في باريس كانت الإشارة المتفق عليها للبدء في تنفيذ المذبحة التي كان آل جيز يتعطشون اليها للانتقام من الهيجونوت الذين قتل منهم بضعة آلاف في باريس (٦) والاقاليم والتي سقط بين قتلاها الزعيم كوليني الذي أرسلت رأسه لباباروما . أما هنري نافار الذي لم يتوافد الهيجونوت الى باريس إلا لحضور احتفالات زواجه من أخت الملك فلم يجد سبيلاً لأنقاذ حياته إلا بالتحول إلى الكاثوليكية . وفعل مثله أيضاً كونديه من زعماء الهيجونوت . إلا أن هذه المذبحة وهذه الوحشية لم تقض على الهيجونوت بل زادت من صلابتهم وعنادهم وحفزتهم على استئناف الكفاح . وبدلاً من أن تؤدي هذه المذبحة إلى القضاء على الهيجونوت كانت بداية لحروب وفتن أخرى استمرت نحو ٢٠ عاماً أخرى (٧) .

لقد هدد الهيجونوت المتمركزون في عاصمتهم الغربية لاروشل وحدة فرنسا وأوقفوا بما لهم من غلبة في الميدان التجاري والمالي والحرفي معظم أنشطتهم كما وطدوا صلتهم بأنجلترا ووجدوا تأييداً لا بأس به من جماعة السياسيين وهم يمثلون حزباً جديداً من الكاثوليك المعتدلين الذين رأوا تغليب الاعتبارات السياسية ، أو بمعنى آخر مصالح فرنسا الداخلية والقومية على الاعتبارات الطائفية . وقد تزعمهم لفترة من الوقت دوق أنجو الابن الرابع للملكة الذي مات عام ١٥٨٤ . وفي ذات الوقت كان الكاثوليك وخاصة من غوغاء باريس يريدون الاستمرار في سلسلة المذابح التي بدأوها

ضد الهيجونوت ولا يؤيدون سياسة الملكة الوالدة وأبنها الثالث هنري الثالث الذي خلف أخاه شارل التاسع ابتداءً من عام ١٥٧٤ ، تلك السياسة التي قامت على مهادنة الهيجونوت والسماح لهم بأماكن حرة يتعبدون فيها علناً داخل الدولة الكاثوليكية . وهنا كانت بداية ما عرف بأسم (العصبة الكاثوليكية) التي ضمت أكثر الكاثوليك تعصباً وتطرفاً والتي عملت على تثبيت دعائم الكاثوليكية في فرنسا بالعنف والشدة وقد إرتمت هذه العصبة كلية في احضان فيليب الثاني وخاصة بعد ان توفي شقيق هنري الثالث وهو الابن الرابع لكاترين دي مديشي واصبح الوريث التالي للعرش هو هنري نافار من أسرة بوربون حيث أن هنري الثالث لم يكن له ابن يرث العرش . وهنري نافار هذا هو الذي سبق الاشارة إلى اعتقاله خلال مذبحه سنت برثلميو والذي اضطر إلى إعتناق الكاثوليكية لكي ينجو بحياته ثم تمكن بعد ذلك من الهرب من معتقله ليعود الى عقيدته الاصلية - البروتستنتية - وليقود الهيجونوت ضد الارهاب الكاثوليكي .

بلغت (العصبة الكاثوليكية) من القوة الحد الذي جعلها تستطيع بالارهاب الاستثنائي بالسلطة الحقيقية في فرنسا واضطر هنري الثالث الى التسليم بالكثير لآل جيز وللعصبة . وتأكد مدى ضعف الملك في يوم المتاريس Journee des Barricades ١٢ أيار ١٥٨٨ عندما رفض ثوار باريس المواليين لهنري دي جيز السماح لقوات الملك بالدخول الى المدينة . ان معاصراً حاول تلخيص الموقف في فرنسا خلال هذه المأساة الطائفية التي اجتاحت بلادها فذكر ان ٨٠٠ ألف شخص فقدوا أرواحهم خلال الحروب والمذابح التي اجتاحت أرض فرنسا في النصف الثاني من القرن السادس عشر وإن تسع مدن سويت مبانيها بالارض كما احرق ٢٥٠

قرية وهدم ١٢٨ ألف مسكن . وان مزيدياً من الخسائر حاقت بفرنسا بعد ذلك عندما مارست العصابة نشاطها المكثف بالاضافة الى ما كان من تعطل الصناعة وتوقف التجارة واهمال الزراعة مع انتشار جماعات أو عصابات النهب والسلب في كل مكان (٨) .

يبدو من العبث ان نحدد المسئول عن هذه المآسي هل هم الكاثوليك أم الهيجونوت ان المحاولات التي بذلت من قبل بعض المؤرخين لسرد الفظائع التي ارتكبتها فريق من أجل تبرير موقف الفريق المضاد أو تبرئته شابها كثير من الخطأ . لقد عانى الكثير من كاتدرائيات فرنسا الرومانسيكية والقوطية من فعل الخراب والتدمير الذي لحق بها خلال هذا الصراع . ان اولئك الذين ينتمون الى حركة الاصلاح الديني نظروا الى الطقوس التقليدية والى تماثيل العذراء والقديسي والمصورات التي تعبر عن المسيح وعن الاحداث التي وردت بالانجيل بأعتبارها نوعاً من الردة أو العودة إلى عبادة الاصنام . وكان تحطيم هذه التحف الفنية أو نهبها امراً لاغبار عليه . وكذلك فإن أي محاولة تجري لتحديد مناطق نفوذ كل من الكاثوليك والكلفنيين على الخريطة تعتبر أيضاً من المحاولات الفاشلة حيث جرى الفريقان على تبادل مناطق النفوذ فيما بينهما بصفة غير منقطعة . كما ان الاتجاه الى اصدار تعميم شامل كالقول بأن الريف بقى مخلصاً للكاثوليكية وان المدينة تحولت عنها وتقبلت الحركات الاصلاحية فيه من التبسيط ما يخل بالحقيقة ، وإن كنا لا ننفي ان تأثير الدعوة البروتستنتية في المدن وسكانها كان اوضح منه في الريف لأن سكان المدن أكثر وعياً وأكثر استعداداً بالتالي لتقبل الافكار الجديدة والآراء المتحررة (٩) .

من الواضح اذن ان الغلبة في ذلك الحين كانت للطائفية وبالتالي ما

كان الكاثوليك فرنسا ان يقبلوا وأي حال من الاحوال اعتلاء ملك بروتستنتي لعرش بلادهم . وهذا هو عين ما كان يخشاه فيليب الثاني ملك أسبانيا ، الملك المتدين أو الملك الكاثوليكي المتطرف الذي أعلن الحرب على الهرطقة في كل مكان ، ولذا فإنه عقد مع آل جيز معاهدة جوانفيل Goinville ١٥٨٥ وفيها اتفقا على القضاء على الهيجونوت وعلى انتخاب الكاردينال دي بوربون ملكاً على فرنسا في حالة وفاة هنري الثالث . وفي مقابل ذلك تعطي دوقتي بيرن Bearn ونافار لأسبانيا . وهنا نرى المدى الذي وصل اليه الفرنسيون في طائفيتهم وكيف بلغ الى حد التنازل عن اجزاء من وطنهم مقابل تحقيق كسب طائفي (١٠) .

أما الهيجونوت فكانوا يعلنون دائماً انهم يحاربون في سبيل الحق الشرعي وأيد البوليستيك - وهم الكاثوليك المعتدلون الذين يهتمون اكثر بصالح فرنسا القومي - هنري دي نافار . ان التمرکز الاكبر للهيجونوت كان أوضح ما يكون في الاراضي التابعة لهنري دي نافار . أو الواقعة تحت نفوذه وهي الممتدة من الحدود الاسبانية جنوباً الى دوردني Dordgne ومن خليج بسكاي الى لانجويدوك Languedoc وتضم نافار السفلى وبيرن وجيينا Guienne كما كان للهيجونوت واهنري انصار يمثلون كثرة في مقاطعتي نورماندي وبريتاني ،

ومع ذلك فإن موقف الهيجونوت في فرنسا كان ضعيفاً بصفة عامة لأن الجانب الاكبر من البلاد كان تحت سيطرة الكاثوليك . ولكن هنري دي نافار وقد وجد أن العصبية الكاثوليكية تهدف الى حرمانه من حقه الشرعي في ولاية العهد لم يجد بداً من اعلان حرب جديدة عليهم في ١٥٨٦ شعارها طائفي واستطاع ان يحقق نصراً واضحاً في كوتراس Courtras في

٢٠ / ١٠ / ١٥٨٧ وذلك بينما كان فيليب الثانى منهمكاً في اعداد حملته المشهورة ضد بريطانيا والى عرفت بالارمادا .

يبدو انه لم يكن مما يضير فيليب الثانى استمرار النزاع الداخلى بين جميع الفئات والطوائف حتى يتفرغ هو لمشروعه الكبير ضد انجلترا - الارمادا - دون ان يخشى تدخلا من قبل احدى طوائفها أو فئاتها - وهذا دائماً هو ديدن القوى الخارجية والاستعمار فقد تتظاهر بالعطف وقد تبذل جانباً من العون أو المساعدة بينما تهدف الى الاستغلال وإلى تحقيق مصالحها الذاتية ؟ ومن ثم فأن فيليب الثانى حرض دوق جيز - بواسطة سفيره مندوزا - على تقديم طلبات مبالغ فيها لهنري الثالث هو يعلم تماماً صعوبة الاستجابة لها حيث تؤدي الى الغاء نفوذ هنري الثالث . وكان طبيعياً ان يتردد هذا الأخير في الاستجابة لها فما كان من دوق دي جيز إلا ان دخل باريس وسيطر عليها . ولما وجد هنري الثالث إنه لم يعد السيد المطاع في عاصمته دبر مؤامرة إنتهت بقتل هنري دي جيز واخيه الكاردينال دي لورين فى ٢٣ / ١٢ / ١٥٨٨ ووضع الكاردينال دي بوربون الذى اعترفت به العصبة الكاثوليكية وفيليب الثانى كولي للعهد ، فى احد المعتقلات (١١) .

لقد ظن هنري الثالث وقد تخلص من هنري دي جيز الطامع فى عرشه والحائز على شعبية كبيرة بين الكاثوليك أن الامور قد صفت له وانه اصبح مطلق السلطة حتى انه قال لوالدته كاترين - وكانت راقدة على فراش الموت - بعد نجاح مؤامره التى أدت الى اغتيال هنري دي جيز « الآن غدوت ملك فرنسا الحقيقي » .

ولكن شعب فرنسا وقد فقد زعيمه غدراً قام بشورة عنيفة . وأعلنت

العصبة الكاثوليكية خلع هنري الثالث عن العرش وعدم إستحقاق هنري نافار لعرش فرنسا بعد موت هنري الثالث لأنه بروتستانتى ملحد . وأزاء ذلك اضطر الملك هنري الثالث الى الهرب والى الالتجاء الى هنري دي نافار فمما لحما اذن اصبحت مشتركة . وبعد عقد إتفاقية بينهما تقدمت جيوشهما الى باريس التى تولى شؤونها الاخ الاصغر لدوق دي جيز وهو دوق دي ماين وبينما جيوش هنري دي نافار وهنري الثالث تحاصران باريس بنجاح وإذ أوشكت على السقوط فى أيديهما تمكن جان كليمان من اغتيال هنري الثالث فى ١ / ٨ / ١٥٨٩ وهكذا انتهت أسرة الفالوا وانتهى الحكم المتتابع للأخوة الضعاف الثلاثة ابنه كاترين دي مديشي وبدأ الصراع المكشوف بين هنري دي فار والحلف الكاثوليكي وبين فكر كل منهما وايدلوجيته (١٢) .

لقد أصبح هنري دي نافار بعد موت هنري الثالث الملك الشرعى لفرنسا ، ولكن بروتستانتية كانت تحول بينه وبين هذا العرش . وفى ذات الوقت إتجهت العصبة الكاثوليكية فى باريس وقد اصبحت مهددة بأستناد هنري دي نافار الى حقه فى اعتلاء العرش وفقاً لقانون الوراثة الى مزيد من الارتقاء فى احضان فيليب ملك أسبانيا ولم تتورع عن التنازل له عن اجزاء من الوطن القومى لفرنسا مقابل عونه لها . وهكذا حددت العصبة موقفها ومصيرها كحركة تؤثر الطائفية وتغلبها على الروح القومية والمصالح الوطنية . ان خطورة الطائفية ونعرتها انها قد تؤدي الى الاضرار بالوحدة القومية .

مرت بفرنسا خلال تلك الفترة مرحلة غلب عليها الغموض فى الاتجاهات . لقد إستطاع هنري الثالث قبل مقتله بالاشتراك مع هنري دي نافار قيادة جيش مختلط من الكاثوليك واليهجونات . ولكن ما كان

من الممكن لهذا الجيش المختلط ان يدين بنفس الولاء لهنري نافار أو هنري الرابع - كما اطلق عليه - بمفرده . لقد رفض الكاثوليك برغم ولائهم للملكية المتوارثة ان يدينوا بالولاء للملك ملحد فالموت - كما قيل إذ ذاك - أفضل لهم الف مرة من الرضا بهذا الوضع المبهين .

ان الوعد الذي أطلقه هنري الرابع في ٤ / ٨ / ١٥٨٩ أي بعد ثلاثة أيام من مقتل الملك السابق بالحفاظ على الديانة الكاثوليكية الرسولية دون أدنى مساس بها تغييراً أو تبديلاً ، وما اعلنه من استعداد لتلقى دراسة في المذهب الكاثوليكي على يد مجمع وطني أو عالمي ، لم يكن لهما صدق يذكر فقد قوبلا بالرفض من قبل الكاثوليك وبالسخط من قبل البروتستانت . وهكذا تعذر على هنري الرابع الاستمرار في حصار باريس واضطر الى رفع الحصار عنها في ٨ / ٨ / ١٥٨٩ منتقلاً إلى نورماندي حيث كان يطمع في تلقي مساعدة هناك من قبل الانجليز وهؤلاء أرسلوا فعلاً فيما بين عام ١٥٨٩ ، ١٥٩٥ خمس حملات لمساعدة الهيجونوت .

أما العصبة الكاثوليكية وزعماءها الذين قادوا الحركة المعارضة لتولي هنري الرابع عرش فرنسا بصفته بروتستانتيّاً فكان عليهم ، عقب رنة الفرج الأولى التي غمرتهم إثر رفع الحصار عن باريس ان يحددوا مرشحهم لعرش فرنسا وكان عليهم ان يتخذوا موقفاً محدداً أزاء طموحات دوق ماين وآمال فيليب الثاني ملك أسبانيا .

وقد قرروا في ٥ / ٨ / ١٥٨٩ اعلان الكاردينال دي بوربون ملكاً على فرنسا بأسم شارل العاشر . . . هذا كسباً للوقت وليس كحل نهائي للمشكلة فالمملك الجديد - شارل العاشر - كان سجيناً في قبضة هنري الرابع وكان من رجال الدين ولذا لم يكن في الامكان ان يكون فاتحة أسرة

حاكمة جديدة ، كما إنه كان كبير السن عاجزاً عن إدارة الامور .
والواقع ان محرك العصبية الكاثوليكية - ولو من وراء الستار - لم يكن
إلا فيليب ملك أسبانيا المثير . وكشف هذا عن اتجاهاته أو اطماعه
بواسطة مندوبه مندوزا . لقد طلب افعال قانون الفرنجة العريق - القانون
السالك Lex Salica الذي سارت على هداه فرنسا منذ عصر شرلمان بل
ومنذ التاريخ الاول لقبائل الفرنجة الجرمانية . ذلك القانون الذي لايجيز
وراثه العرش للأناث . وطلب عقد اجتماع لمجلس طبقات الاممة
States general لأخذ موافقته على اختيار ابنته الكبرى ايزابلا لعرش
فرنسا حيث إنها أيضاً حفيدة هنري الثاني ملك فرنسا . وكحل آخر لم
يكن لديه مانع من اختيار دوق جيز او ماركيز دي بونت بشرط ان
يتعهد من يقع عليه الاختيار بعدم الزواج إلا بموافقة ملك أسبانيا وبشرط
ان يقبل التنازل لأسبانيا عن بعض الموانئ الهامة على قناة المانش لأستخدامها
في حربه مع انجلترا .

أثارت هذه الاطماع الخطيرة التي كشف عنها فيليب الثاني الشعور
القومي في فرنسا وتعارضت معه مما يدل على ان الاحساس القومي بقي
كامناً برغم الطائفية التي طغت عليه - ولو مؤقتاً - ولكنه كان في حاجة
لمن يستثيره . وهذه الاطماع تعارضت أيضاً مع طموحات دوق ماين
الشخصية بصفته الزعيم الأسمى للعصبية الكاثوليكية فقد طمع في التاج
لنفسه رغم إنه ببيئته الممتلئة وشخصيته البطيئة التصرف لم يكن مؤهلاً
لها ومع ذلك فقد كان بإمكانه مقاومة اطماع فيليب الثاني وتطويق الحكومة
الشعبية لباريس التي كانت تؤيدها بفضل مكانته المتوارثة عن أسرة جيز .
وقد نشأت في باريس مع نمو الثورة الكاثوليكية أجهزة جديدة للحكم

من بينها مجلس الستة عشر الذي يمثل الاحياء الستة عشر لباريس والذي أصبح على اتصال بأشباهه من النوادي والحكومات في طول فرنسا وعرضها . وقام بالأمور التنفيذية في باريس مجلس فدرالي هو مجلس الاربعة ولكن دوق مايين لم يطمئن لولائه فقرر حمله مستعجلاً عنه بمجلس خاص يتبعه شخصياً (١٣) .

تحول هنري الرابع نحو نورماندي حيث استطاع بقوة لا تزيد عن تسعة آلاف التغلب على جيش مايين الذي شمل ثلاثين ألفاً في موقعة أركيس Arques في ٢١ / ٩ / ١٥٨٩ . ان انتصار هنري الرابع في هذه المعركة الحاسمة كان له صدى طيب في فرنسا كما ان ما أشيع عن شجاعته ورباطة جأشه انتقل سريعاً من لسان الى لسان فروى عنه على سبيل المثال ما كان منه عندما اخترقت خطوطه خلال المعركة حيث طلب خمسين متطوعاً من باعوا أرواحهم فداء فرنسا والمملك ثم قادهم الى النصر . ان بعض هذه الروايات وربما الاساطير التي شاعت عن شجاعته جعلته شخصية جذابة حتى في نظر من لا يدينون له بالولاء واصبح معروفاً ، بما رفعه من شعارات قومية وبما اتخذه من سلوك قومي بأنه اكثر الحكام الفرنسيين فرنسية .

اتجه هنري الرابع عقب ذلك نحو باريس فهاجمها واستطاع ان يصل الى ضواحيها ولكنه انسحب حيث تحتم عليه ان يواجه دوق مايين مرة أخرى في معركة أفرى ١٤ / ٣ / ١٥٩٠ . تكون جيش هنري في تلك المعركة من ثمانية آلاف من المشاة ، ثلاثة آلاف فارس بينما زادت قوات مايين ، بما فيها الامدادات الاسبانية والالمانية والسويسرية التي أرسلتها أسبانيا عن اثني عشر ألفاً من المشاة ، أربعة آلاف فارس . وهنا وقف

هنري بين جنده خطيباً .. كاشفاً عن اتجاهاته القومية مشيراً إليها بين رجاله ، وفاضحاً الكاثوليك الذين يستعينون بالاجانب ويرفعون اعلام الدول الأجنبية . لقد أوضح هنري لرجالہ ان الاعداء يحاربون من أجل مذهبهم ، بينما يحارب هو في سبيل فرنسا لاسواها . لقد كان بما قاله » انظروا الى جيش الاعداء وتأملوا بعيونكم اعلام أسبانيا المرفوعة بينهم - هؤلاء هم الذين عملوا ثلاثين عاماً في جلب الخراب على فرنسا . فجميع المصائب التي حلت بفرنسا والمذابح التي جرت فيها لم تكن إلا من تدبيرهم . هم يدعون انهم يحاربون في سبيل الدين ولكنهم ما دخلوا هذه الحرب إلا طمعاً في العرش » . ان النعرة القومية التي أثارها هنري الرابع مع الهجوم القوي لفرسانه الذي تولى قيادته بنفسه ضمنا له النصر . وعندما انهار جيش العصبة الكاثوليكية صاح هنري برجاله لكي يتخلصوا من المرتزقة الاجانب ويفتدوا رقاب الاسرى الفرنسيين (١٤) .

تحول هنري مرة أخرى إلى باريس وظهر امام اسوارها في أول أيار ١٥٩٠ . لقد ساد التطرف الطائفي المرير باريس انهم نظروا في باريس لجاك كليمان قاتل هنري الثالث باعتباره شهيداً وقديساً . وعبثت جميع القوى الدينية ضد هنري الرابع ، فالمنذوب البابوي رمى بشقله الشخصي وبصفته - كوكيل عن البابا - لصالح العصبة وأيد الاعلان الذي أصدرته جامعة السوربون ضد هنري باعتباره ملحداً . ومع ظهور هنري الرابع امام باريس استعداد مجلس الستة عشر الارهابي نفوذه واعلنت جامعة السوربون في ١٠ أيار انها لن تقبل أو تعترف بهنري الرابع كملك على فرنسا حتى لو اعتنق الكاثوليكية . وعندما ضيق هنري الخناق على باريس في ١٤ أيار سارت مواكب كبيرة في شوارع باريس وشارع الدين

السلاح وتعاهد الجميع على أن يهب حياته فداء الكاثوليكية وألا يرتضوا بملك كان يوماً ما من المملحين . وسرعان ما انتشرت المجاعة في باريس وجرى توزيع الغذاء بكل عناية وحرص ومع بداية شهر تموز جرى توزيع جرايات من القطن والكلاب والفئران والديدان بمزيد من الحرص والتقدير . أما الوعاظ والدعاة فاستمروا في دعوة الشعب وتحريضه على الاستشهاد فليس أحب إلى الله من الموت جوعاً فداء العقيدة . ورويت عن تلك الفترة العصبية قصص رهيبة - لها قطعاً نصيب وافر من الصحة عن اختطاف الاطفال وعن أكل لحوم بشرية ونصح البعض باستخدام دقيق من العظام البشرية . وقيل ان ١٣ ألفاً من رجالها ماتوا جوعاً . ومع ذلك استمرت الدعوة الطائفية على أشدها من فوق المنابر وبدا وكان نهاية باريس قد إقتربت مالم تخف أسبانيا لانقاذها . وهنا لجأ دوق مايين إلى بارما Parma القائد المعروف وأمير الاراضي المنخفضة (زوج شقيقة فيليب الثاني) . وحتى لا يقع هنري الرابع بين شقي الرحى أي بين مايين وبارما وجد من الحكمة ان يرفع الحصار عن باريس في ٣٠ / ٨ / ١٥٩٠ (١٥) . وان أبقى على بعض المواقع التي تتحكم في مداخل باريس وخارجها في يده حيث ظل يرقب عن كثب الخلاف والجدال الذي شب بين أعدائه ويردد وعده بأنه على استعداد لدراسة جوانب العقيدة الكاثوليكية والدخول في حوار بناء بشأن ما بينها وبين البروتستنتية من اختلاف .

تعرض موقف الكاثوليك في باريس خاصة وفرنسا عامة إذ ذاك للتفكك فالفرق المعتدل الذي يتزعمه دوق مايين والذي يؤيده البرلمان ومجلس طبقات الامة كان يجد معارضة شديدة من قبل المجموعة المتطرفة من العصبية الكاثوليكية . وكان يمثل هذه الجماعة في باريس مجلس الستة

عشر السابق الذكر والمتطرفين من رجال الدين . وبلغ بهم الامر الى حد الاستعداد للتضحية ولو باستقلالهم القومي وبما لفرنسا من مركز دولي إذا أمكن الحفاظ على الكاثوليكية وسيادتها في فرنسا بعيداً عن مظاهر الاتحاد . وتركزت امال فيليب الثاني حول هذه الفئة . ولم تستطع الخيبة التي أصابت معظم مشاريعه مثل هزيمته في حرب الارمادا وخسائره المتتالية في الاراضي المنخفضة ان تحول أنظاره عن مشروعه الاكبر أو مشروعه البراق فلو اضيفت فرنسا الى حدود أسبانيا فان هذا سيعوضه حتماً عن جميع خسائره . ولم يكن هذا الأمل الذي يراوده الآن ببعيد في نظره عن التحقيق .

وفي عام ١٥٩١ كلف مايين بعثة ترأسها رئيس برلمان باريس بالتوجه الى أسبانيا ليتعرف على الاهداف النهائية للملك فيليب الثاني والممدى الذي يمكن له وفرنسا الاعتماد عليه فيه .

ولقد وضع لهذه البعثة ان أسبانيا ترفض مبدأ التهادن مع هنري الرابع نهائياً حتى ولو قبل التحول الى الكاثوليكية (١٦) . وان أسبانيا ترى ان ايزابلا ابنة فيليب الثاني (من كبرى شقيقات هنري الثالث) - وحفيدة هنري الثاني ملك فرنسا هي أحق المطالبين بعرش فرنسا . وأعلن فيليب الثاني إنه لا يعتزم تزويجها من دوق مايين دي چيز وإنه يفضل عليه الارشيدوق ارنست زوجاً لها . وهكذا عاد رئيس برلمان باريس إلى فرنسا وقد فقد الأمل في امكان الاعتماد على أسبانيا .

ولكن مجلس الستة عشر في باريس والمتطرفين الذين يمثلونهم لم يواجهوا هذه الافكار الاسبانية التي كان فيها ما يكفي للقضاء على فرنسا كدولة لها استقلالها ولها قوميتها الخاصة بأدنى معارضة .

دارت سياسة أسبانيا إذ ذاك حول شيء واحد هو ضم فرنسا لاسبانيا
او إخضاعها لها تحت أي اسم من المسميات . ولم يبد مجلس الستة عشر
أدنى مبالاة بهذا المصير القاتم الذي كانت تساق اليه فرنسا بل انه وقعت
في يد هنري الرابع في شهر أيلول ١٥٩١ رسالة موجهة الى فيليب الثاني
من مجلس الستة عشر يعلنون فيها (ان اقصى ما يتمناه كاثوليك فرنسا
هو ان يتولى فيليب مقاليد الامور بينهم .. وان فرنسا تنتظر في لهفة
استقبال ايزابلا كملكة عليهم) . وبناءً عليه رؤى دعوة مجلس طبقات
الامة لاصدار قرار في هذا الامر وملحقاته . لقد انتخبت باريس ممثلها
منذ عام ١٥٩١ . وقبل ان يجتمعوا رسمياً أصدروا بتأثير موجة الحماس
والتطرف التي سادت في تلك الآونة وتحت تأثير مجلس الستة عشر دراسة
Cahiers جاء فيها ان أي ملحد سواء أكان أميراً او شخصاً عادياً يجب
ان يحرق حياً .

لقد طالب المتطرفون بمذبحة أخرى اشبه بمذبحة سنت برثليميو الشهيرة
لبتر الدماء نهائياً وتطهير فرنسا منه وقتلوا خلال ذلك رئيس مجلس طبقات
الامة . ولكن هذا الارهاب الذي دفع اليه مجلس الستة عشر كانت له
ردود فعل قوية من جانب الرأي العام فدخل مابين باريس وتقرر في ٤
كانون الاول ١٥٩١ اعتقال أربعة من اعضاء مجلس الستة عشر نفذ فيهم
الاعدام دون أدنى محاكمة وادى هذا الى تعميق الخلاف بين الكاثوليك
المعتدلين والمتطرفين منهم .

كان هذا مما شجع هنري الرابع وجدد آماله ، ومن ثم حاول في عام
١٥٩٢ حصار روان Rouen ولكن وصول معونة خارجية في شباط عام
١٥٩٢ من الاراضي المنخفضة بقيادة القائد الشهير دوق بارما الذي انتقد

باريس كما أشرنا لذلك سابقاً لم يتح لهزي الرابع تحقيق أهدافه .
وفي أيار ١٥٩٢ هزم ميركور Mercoeur جيشاً ملكياً في كراون Craon
وترتب على ذلك ان صارت السيطرة للعصبة الكاثوليكية في بريتانى وماين
Maine وانجو Anjou .

لقد تصور هنري الرابع بعد معركة أفري Ivry ان في امكانه ان
يصل الى العرش بحد السيف ولكنه أدرك الآن صعوبة ذلك . وأدرك
أيضا انه ما لم يدخل باريس ويسيطر عليها فهو لن يكون ملكاً على فرنسا
إلا باللقب والاسم فقط دون الفعل . واصبح واضحاً ان العقبة التي تقف
في سبيل تحقيق طموحاته هي مذهبه . ان الطائفية التي إتصفت في باريس
بالشراسة كانت بالقدر الذي يكفي لاجلاق أبوابها في وجه ملك ملحد في
تصور شعبها (١٧) .

ان شهرة هنري الرابع واتجاهاته القومية كانت تكسبه مزيداً من
حب الفرنسيين ، ومزيداً من الانصار يوماً بعد يوم وبالرغم من كل ذلك
فانه كان اضعف من ان يحصل على العرش بحد السيف . وقد حاول في
شهر تموز ١٥٩١ انهاء المشكلة الدينية عندما اصدر اعلان مانتيز
Declaration Of Mantes الذي أقر فيه بأن الديانة الرسمية للدولة
هي الكاثوليكية على ان يبقى هو بروتستانتياً ولكن الكاثوليك لم يثقوا
في صدق هذا الاعلان والكلفنيون ساءهم ما عدوه تلوناً من قبله (١٨) .
خلال هذا سارت فرنسا بخطى حثيثة نحو الخراب والدمار فقد تعذرت
التجارة وانتهز امراء فرنسا الفرصة - فرصة إنهاد ام السلطة المركزية
القوية - ليعمقوا من مظاهر استقلالهم الذاتي . كما تزايد ضغط ملك
اسبانيا وعملائه . واعتدى دوق سافوى على حدود فرنسا الجنوبية الشرقية

كما استولى على بعض القلاع الفرنسية وحق الزباث ملكة انجلترا سعت لتحقيق اطماعها في كاليه وغيرها من المدن الفرنسية .

ومن ثم لا يأخذنا العجب إذا وجدنا ان المعتدلين من الكاثوليك بدأوا يميلون الى تمكين هنري الرابع من عرش فرنسا وفي ربيع ١٥٩٣ عقد مجلس طبقات الامة اجتماعاً بقصد إيجاد مخرج للأزمة التي تعاني منها فرنسا... ازمة العرش ، فالكاردينال دي بوربون توفى عام ١٥٩٠ وعليه ظل العرش شاغراً ثلاث سنوات . قرر المجلس ان يرسل بعض اعضائه للأجتماع بهنري الرابع والتعرف على آرائه فتعهد بأستعداده التام لتنفيذ أوامره خلال شهرين من تأريخه (١٩) .

اصبح واضحاً ان العقبة الكأداء التي تحول بين هنري وعرش فرنسا لم تكن إلا عقبة طائفية وهي انتماءه للبروتستنتية . ولم يكن هناك من سبيل لاجتياز هذه العقبة إلا بأرتداده عن البروتستنتية واعتناقه الكاثوليكية فأن رفض هذا طالت الحرب الاهلية واصبح انتصاره فيها مشكوكاً في أمره . ان بعض زعماء الهيجونوت عارض فكرة إرتداد هنري عن البروتستنتية بينما وافقه على ذلك كثيرون . ولعل هنري ذاته لم يكن ممن يتصفون بالتدين العميق أو الدراية بأصول المذاهب وخبائياها وإنما كان ممن غلبت عليهم روح الفروسية والمرح وكثرت في حياتهم المغامرات بأنواعها بما فيها النسائية . وربما لم يكن هناك ما يضيره في التحول عن عقيدة والدته سوى ما يرمز اليه هذا التحول من قهر او نكوص . أما سلى صديق هنري العريق ووزير المال المخلص في عهده فيقول في الجزء الخامس من كتابه (للمذكرات Les Memoirs) إنه رأى في اتخاذ هنري لاي من الموقفين اخطاراً لا مفر منها ولكن الخطر الاعظم كان يكمن في

الموقف السليبي وعدم اتخاذ قرار حاسم . ولذلك فإنه نصح هنري بأعتناق الكاثوليكية حتى يضع حداً لهذه الحرب الطاحنة التي جرّت الخراب على فرنسا وحتى يستطيع الانتقام لفرنسا ولكرامتها من اعدائها الذين تكالبوا عليها وحتى يتمكن من تخليد اسمه في سجل التاريخ بأعادة السلام إلى فرنسا .

إنتهى الأمر بأن أعلن هنري إستعداده لاعتناق الكاثوليكية وبعده اجراءات طويلة وقع صحيفة رسمية بأرثداده عن البروتستنتية ، وفي ٢٥ تموز ١٥٩٣ توجه هنري الرابع لكنيسة دنيس St Denis وقرع على بابها ففتح له رئيس اساقفة بوج Bourges ومعه سبعة اساقفة . سأله « من أنت وماذا تريد ؟ » . فأجابهم هنري « أنا الملك وأرجو ان تسمحوا بقبولي في الكنيسة الكاثوليكية » . ثم انه ركع على الارض وقال « اني اعترف امام الله تعالى وأتعهد بأن ابقى خالصاً للكاثوليكية حتى الرمح الاخير وان اذود عنها واعمل على حمايتها بدمي وأفديها بروحي » . وهكذا نفذ هنري تلك الخطوة الحاسمة في حياته وكانت اول نتيجة لها بداية إنهياب العصبية الكاثوليكية بعد ان زال السبب الاساسي الذي وجدت من أجله (٢٠) .

ان اول عمل قام به هنري الرابع بعد الانتهاء من اجراءات وطقوس تحوله مذهبياً هو اعلان الهدنة العامة لمدة ثلاثة أشهر . ومع ذلك فلم يكن ممكناً له دخول باريس ، بل إنه اضطر للانتظار نحو ثمانية اشهر خارجها قبل ان يتغلب على معارضة أهلها بما كشف عن حدة تعصب الجماهير الكاثوليكية في باريس وان كان من الجلي ان الغالبية العظمى من بين الشعب الفرنسي كانت تؤازره وتؤيده (٢١) .

ان اضطرار هنري الرابع الى التحول الى الكاثوليكية كان تسليماً للطائفة ونصراً لها ولكنه كان نصراً مؤقتاً لأن هنري الرابع اتخذ منه سُلماً أو وسيلة لتغليب النعرة القومية الوحشية التي عمل على اثارها وتبنيها بأي تضحية كانت .

ان الخطوة التي اتخذها هنري الرابع برغم إنها لم تحقق الارضاء الكامل لكل من البروتستانت والكاثوليك إلا إنها نجحت في إزالة أحد عوامل التوتر الطائفي لدى العصابة الكاثوليكية التي فقدت المبرر الذي استندت اليه في بقائها ومن ثم تهاوت وإنهارت . ان الجماهير الشعبية التي غلب عليها الحماس والتي اتجهت من كل فج وأقليم لتحية هنري انما كانت في تحيتها له تعبر عن تأييدها لسيادة الوحدة وسيادة القومية والرغبة في إنهاء التنافر الطائفي واقتنع الجميع بأهمية الانضمام للملك وبضرورة الوحدة ولم يبق إلا تحديد الشروط التي يتم بمقتضاها استسلام المقاطعات الخارجة عن الولاء له سواء من انصار العصابة الكاثوليكية او من الهيجونوت .

توالى انضمام المقاطعات والمدن لهنري فليون واوريان اعلنتا الولاء في شباط ١٥٩٤ . اما مدينة روان Rouen فلم يقبل قائدها فيلار Villars التسليم للملك إلا مقابل كسب شخصي له . ولم يتردد هنري الرابع لحظة واحدة عن تقديم أي مبلغ لاي مسئول لتحقيقاً لاتمام الوحدة . وهو ينطلق في هذا من إتجاه واقعي فهو سيسترد ما يقدمه من مال من إيراد هذه المقاطعات ابتداءً من انضمامها اليه فضلاً عن ان ضم هذه المقاطعات بهذا الاسلوب أقل تكلفه من نفقات الاستيلاء عليها بقوة السلاح . وهذا الاسلوب فيه توفير للتضحيات البشرية في الرجال والمادية التي تتجسم في الخسائر

والدمار بالاضافة الى الوقت والزمن الذي يذهب هدرآ . ومن ثم لم يتردد هنري في تسليم هذا القائد بمفرده نحو مليون وربع مليون ليره فرنسية بخلاف ميزات أخرى قدمها له وبغيره قيل انها بلغت في جملتها نحو ثلاثة ملايين ونصف ولن يثير دهشتنا اذن ان هنري سلم لبعض اعضاء العصبة الكاثوليكية من أجل التمكن له في بعض الاقاليم التي يسيطرون عليها مبالغ بلغت في جملتها ما لا يقل عن ٣٢ مليون ليره وهو ما يتجاوز ايراد فرنسا عن عام كامل . ومع ذلك فأن النصر ما كان ليتم لهنري الرابع إلا بدخوله باريس التي كان يدافع عنها دوق مايين بمساعدة الاسبان ولكن الاتجاه الشعبي في باريس اصبح يميل لصالح هنري الرابع ولصالح انهاء الحرب والتخلص من سيطرة العصبة الكاثوليكية التي نشرت الارهاب والرعب بين السكان . لقد عين دوق مايين القائد بريساك Brissac حاكماً على باريس نيابة عنه وكان معروفاً عنه الاخلاص للعصبة خاصة بعد الدور المعروف الذي لعبه في يوم المتاريس عندما منعت باريس جنود هنري الثالث من دخول العاصمة . ولكن سلى وزير هنري اكتشف في هذا القائد رغم اخلاصه للحلف ما توفر لديه من قابلية - في قرارة نفسه - لأن يبيع باريس لمن يدفع الثمن الاكبر وفعلاً أمكن لسلى الاتفاق معه على تسليم باريس مقابل مليون وسبعمائة الف ليره . وأمكن ترتيب خدعة تخرج بمقتضاها الفرق الاسبانية من العاصمة بحجة قطع الطريق على قوة متقدمة نحوها .

وهكذا اصبح الجو خالياً وصالحاً لاستقبال هنري الرابع الذي دخل العاصمة في ٢٢ آذار ١٥٩٤ . وكان دخوله العاصمة مفاجأة غريبة لأهل باريس قوبلت من غالبيتهم بالارتياح بل بالابتهاج والتهليل خاصة وانه

لم يحاول الانتقام من أولئك الذين ناصبوه العدا . انها احدى المتناقضات التي كانت واحداً من مظاهر الحركات الثورية والانقلابية في القرن السادس عشر إنها تمت تحت قيادة أشخاص غير ثوريين (٢٢) .

وبرغم هذا الانتصار فإن أنصار العصابة الكاثوليكية ما كانوا بقلة وخاصة في الشمال ودون ان نتعرض لدوامة الصراع العسكري والدبلوماسي مع هذه البعثة والاحداث التي جرت اليها نستطيع ان نقول ان هنري الرابع استطاع خلال عامي ١٥٩٤ ، ١٥٩٥ سواء مستعيناً بالسلاح أو بالدبلوماسية والسياسة المصحوبة ببذل المال . . استطاع جعل الوحدة القومية بين المقاطعات الفرنسية امراً واقعياً وفي الوقت الذي كان يعاني فيه من الافلاس أبى قبول معونة مالية من قبل بعض أمراء الاقطاع مقابل اطلاق يدهم في مقاطعاتهم مع الابقاء له على التبعية التقليدية الأسمية .

ان هنري على النقيض من ذلك ما كان يسعى إلا لتخليص فرنسا من هؤلاء الطغاة حتى يعيد لفرنسا عن طريق الحكم الملكي المطلق مجدها التالد . وهكذا إستسلمت لاؤون وسقطت اميان Amiens في آب ثم سنت - مالمو وتول وفردان واصبح شمال فرنسا كله بيد هنري الرابع .

إلا أن دوق مايين ودوق ميركور وكنيهما من أسرة جيز خططا لتحويل كل من برجنديا وبريتاني الى ملك متوارث في أسرتيهما بمساعدة أسبانيا . كما حاول دوق نيمور السيطرة على البلاد المحيطة بليون مستعيناً بأمانة سافوى .

وهنا وجد هنري الرابع ان خير سياسة يمكن له إتباعها مما يتفق مع ظروف الساعة لا تكون إلا بإعلان الحرب على أسبانيا - كانون ثاني ١٥٩٥

حتى يمنع قيام حرب داخلية أخرى وحتى يستثير الشعور القومي في فرنسا في مواجهة أسبانيا العدو التقليدية لفرنسا . وبذا يضع أنصار العصبية الكاثوليكية .. إذا تغاذلوا عن الاشتراك معه في هذه الحرب .. في موقف حرج ويصممهم بتهمة الخيانة الوطنية . استمرت الحرب مع أسبانيا ثلاثة أعوام ونصف ابتداءً من كانون ثاني ١٥٩٥ ومع إنها خلت من أي حدث مشير إلا أنها كانت الفرصة التي اتبعت لها نهى لتصفية العصبية وأنصارها . وقد انتهت مقاومة دوق مايين في كانون ثاني ١٥٩٦ وأمكن الاتفاق معه مقابل تسديد ديونه ومقابل بعض الميزات التي منح لها وأمكن أيضاً التفاهم مع معظم الدوقات الذين بقوا على معارضتهم الى ذلك الحين (٢٣) . ان استعادة هنري الرابع لأميان في ١٩ أيلول ١٥٩٧ كان مناسبة طيبة إستغلها لعقد صلح مع أسبانيا . ولم تكن أسبانيا اقل ترحيباً بهذه الفرصة فقد سئم فيليب الثاني الصراعات وكثرة ما أصابه من فشل . وبناءً عليه توصل الى هدنة أعقبتها اتفاق كامل وقع نهائياً في فرفان Vervins في ٢ أيار ١٥٩٨ وبمقتضاه تخلت أسبانيا عن كل ما حصلت عليه من بلاد في فرنسا عدا كامبري Cambrai على الحدود الشمالية لفرنسا واتباع هنري الرابع هذا الصلح بأخر انهى به نزاعه مع سافوى . لم يبق بعد ذلك امام هنري الرابع لاتمام وحدة فرنسا سوى منطقة بريتانى والبلاد المجاورة لها حيث ضربت الفوضى اطنابها على مدى عشر سنوات اتخذت منها الجيوش الاجنبية سواءً أكانت أسبانية أم انجليزية ميداناً للصراع . ان الشعور العام في هذه المنطقة أخذ يتجه نحو السلم بعد ان دكت البلاد دكاً وبعد ان أصدر البابا كليمنت الثامن عفوه عن هنري الرابع . ولكن دوق ميركور ظل قابضاً على السلطة في نانت وكانت

له قوة حربية لا يمكن الاقلال من أهميتها . ولكن الاتفاق الذي وقع نهائياً في فرفان والذي انهى الحرب بين فرنسا وأسبانيا تركه بلا حليف في مواجهة قوة فرنسا النامية . وعندما حاولت أسبانيا التعرض لموضوع بريتاني في هذا الصلح ابى هنرى السماح لها بالتدخل في شؤون فرنسا ومن ثم تخرج مركزه وان بقيت لديه من القوى ما يسمح له بأثارة كثير من المتاعب ولذا لم يتردد هنرى الرابع في سبيل تحقيق التفاهم معه - ٢٠ / ٣ / ١٥٩٨ من بذل مزيد من المال فمنحه حوالي أربعة ملايين ليرة بالاضافة الى منحه وأنصاره عفواً شاملاً . ومن ثم تسلم هذه المقاطعة وما بها من مدن وحصون كما اتفق على ان ابنة ميركور ووريثته الوحيدة تزوج من ابن هنرى من عشيقته . وحققت هذه الاتفاقية ضم جميع المقاطعات الشمالية الغربية لفرنسا (٢٤) .

أخيراً لم يبق امام هنرى الرابع سوى بعض الهيجونوت الذين حنقوا عليه لانقلابه الديني وهؤلاء تركزوا في المقاطعات الغربية من فرنسا جنوب مقاطعة بريتاني أى في بواتو وليموزين Limousin وبرى Berry واوفرني Auvergne هؤلاء الذين حملوه على اكتافهم كما اعترف هنرى بلسانه ولكنهم حنقوا عليه لأنه وزع الطيبات والخيرات على اعدائه وتجاهل رفاق السلاح في المعارك المائة كما قالوا . لقد انصت هؤلاء والألم يعتصرهم للوعد الذى قدمه عند تنويجه (بطرد جميع الملحد من بلاده) ولذلك تملكهم الشك فى العهود التى قطعها لهم بحمايتهم والدفاع عنهم ولم يستسيغوا المبررات السياسية التى اضطرته لاتخاذ قرار التحول الديني أو المذهبي . ولكن الواقع ان هنرى كان نبيلاً فلم يخلف عهده . غاية الامر أن الاخطار الكثيرة التى احتاطته وبينها الصراع مع أسبانيا جعلته يؤخرأى قرار

لصالحهم خشية ان يفسر على انه صادر عن ضعف أو انه تسليم تحت ضغط الحاجة . ولذا فإنه لم يكذب ينتهي من عقد صلح فرفان حتى وقع أيضاً خلال وجوده في الغرب لتسوية بعض الديول المتعلقة باستعادة مقاطعة بريتاني - وقع أيضاً في ١٥ نيسان ١٥٩٨ مرسوم نانت الشهير . لقد كان هذا المرسوم اشبه بمعاهدة سلام بين هنري والهييجونوت صدرت بعد مفاوضات طويلة . لقد منح هذا المرسوم للهييجونوت حرية ممارسة عبادتهم في الجهات التي صرح لهم بها في عامي ١٥٩٦ ، ١٥٩٧ والتي حصلوا عليها بمقتضى مرسوم ١٥٧٧ ، مع مساواتهم التامة بالكاثوليك في تولي الوظائف العامة والعسكرية وعضوية البرلمانات في فرنسا وسمح لهم بعقد مجامع دينية خاصة بهم مع منحهم حقوقاً متعلقة بحرية التعلم ووضع الوزراء والمدافن الخاصة بهم . وأهم من كل هذا ان هنري ترك لهم خمسة وسبعين موقعا حصينا يحتمون به اذا شأوا من أى اخطار قد تتهددهم داخل فرنسا .

ان أهمية مرسوم نانت انه يؤرخ عهداً له طابع جديد في تاريخ العالم لأنه أقر للشعب مبدأ التسامح الديني وهو شيء جديد في تاريخ أوربا بل في تاريخ العالم وإذا عرفنا ان عدد البروتستانت في فرنسا لم يتجاوز ١٢/١ من مجموع السكان ولم يزد بعبارة أخرى عن مليون وربع إذ ذاك أمكننا ان نقول ان الامتيازات التي حصلوا عليها لم تكن أقل مما توقعوا وإذا عرفنا ان الهييجونوت برغم ثرائهم وثقافتهم ونشاطهم وربما بسبب هذه الصفات كانوا موضع كراهية باقي الفرنسيين وغيرتهم أدركنا مدى الجهد الذي بذله هنري الرابع من أجل الحصول على موافقة برلمانات فرنسا على هذا المرسوم (٢٥) .

لقد كان مرسوم نانت هو الاداة الاخيرة التي استعان بها هنري الرابع

من اجل انهاء الصراع الطائفي في فرنسا من أجل تغليب النعرة القومية وتحقيق الوحدة القومية .

جلبت الوحدة والقومية معها لفرنسا المجد والانتصار بل والازدهار ، فلتنازع الآن الثمار التي جنتها فرنسا وقد غلبت القومية على الطائفية والوحدة على التفكك .

ان أول اهتمامات هنري بعد تحقيق الوحدة القومية هو اعادة الأمن والاستقرار والنظام بعد ٤٠ عاماً من حرب طاحنة ولم يكن ذلك بالامر الذي يخلو من المشقة . ان الحرب الطائفية الاهلية أعطت فرصة نادرة للنبلاء حققوا خلالها استقلالاً شبه كامل في مقاطعاتهم . وقد اضطر هنري إلى شراء الامراء بالمال ولكن لم تكـد تستقر له الامور قليلاً حتى شعر هؤلاء الامراء بقوة السلطة المركزية ومدى مالها من رقابة نافذة مسيطرة . نجمع هنري في خـلق إرستقراطية جديدة هي ارستقراطية الرداء Noblesse of the Robe. تلك الطبقة التي اصبحت متوارثة من الموظفين الذين أختير معظمهم من بين رجال الطبقة الوسطى التي استعانت بها حكومة فرنسا المركزية من أجل توفير الرقابة الفعالة والاشراف الشامل على المقاطعات وأمرائها . ان بعض الامراء - مثل مارشال دي بيرون الكاثوليكي ومثل دوق دي بوايون من الهيجونوت لم يتقبلوا هذه الرقابة التي تحرمهم من نفوذهم الكبير ودخلوا في مفاوضات مع أسبانيا وسافوى بشأن تقسيم فرنسا ثانية . ولكن هنري الرابع أمر بأعدام الاول عام ١٦٠٢ بينما هرب الثاني الى المانيا واعتقل آخرون . وفي عام ١٦٠٦ قام هنري على رأس قوة عسكرية بجولة في المقاطعات الجنوبية الغربية دحر فيها بعض الحصون التي أحتمى بها بعض الامراء وحكم بالموت على أولئك الذين حاولوا

عرقلة اتجاهات فرنسا البناية .

ان اعظم ما تدين به فرنسا لهذا العهد او لفترة الاستقرار التي انتهت الطائفية وفسحت المجال للقومية هو اصلاح مالية فرنسا . ان النظم المالية في فرنسا تتصف بأنها تقليدية متوارثة . ان سلى صديق هنري الرابع والرجل الذي عهد اليه بمالية فرنسا لم يغير شيئاً من أسسها برغم ما شابها من عيوب وإنما اقتصر عمله على انقاذها من الفساد والرشوة الذي ساد العمل بين موظفيها (٢٦) .

لقد وجه سلى عنايته الى تحقيق أمرين أولهما ألا يسمح بجباية أي ضريبة لم يصدر أمر بشأنها من قبل الحكومة المركزية وثانيهما ان تنظم عملية الجباية بحيث يكون لوزارة المالية حق فحص وضبط الاموال المقررة على كل امرئ بكل دقة . لقد ازال سلى خلال هذه الفترة طائفة من الوكلاء الماليين الذين كانوا بلا عمل وبلا فائدة واجبرهم على رد ما اغتصبوه ظالماً كما تمت في عهده مراجعة الاموال المقررة على كل فرد وقضى بجرة قلم على طائفة من الاعفاءات التي صرح بها سابقاً عن طريق رشوة الموظفين المختصين وهكذا أمكن تخليص الفرنسيين من فوضى الضرائب ومظالمها ووفر هذا للفرنسيين نحو مائة وعشرون مليون فرنك سنوياً وأوجد المال الكافي لأكمال عدة الجيش وسلاحه (٢٧) .

ان نظرة عاجلة لاقتصاد فرنسا ومقارنة بين ما كان عليه في عام ١٥٩٧ أي فور انتهاء الحروب الطائفية وبدء مرحلة الاستقرار وما وصل اليه في عام ١٦١٠ أي في نهاية حكم الملك هنري الرابع تكشف عن مدى التقدم الذي لحق به . حقاً ان الخراب كان شاملاً ولكن الرصيد الاساسي لثروة فرنسا وهو ، تربتها ، بقي سليماً وأمكن بالعمل الشاق زراعة الارض

التي تركت جرداء وبناء البيوت التي دمرت أو أحرقت . وفي عام ١٦٠٩ استطاعت فرنسا تصدير كميات من القمح تفوق في قيمتها كل الفضة والذهب الذي حصلت عليهما أسبانيا من جزائر الهند الغربية .

لقد كانت الحكومة مدينة في بداية هذه الفترة بمبلغ (٣٥٠) مليون ليرة والاملاك الملكية مرهونه وإيراد الدولة يحول معظمه الى جيوب أجنبية . فنقص الدين في عام ١٦١٠ الى ٢٢٤ مليون ورفعت الرهنية عن الاملاك الملكية مقابل ٤٠ مليون ليرة فرنسية وقضى على اختلاسات الموظفين المالية وانتهت المظالم الفادحة في تقدير الضرائب وخفضت الضريبة العقارية الى ١٤ مليون بدلاً من ١٦ مليون ، وأمكن توفير ٤١ مليون ليرة كاحتياطي وارتفع إيراد حكومة فرنسا من غير المصادر الضرائبية من ٣ مليون الى ١٣ مليون كما زاد إيراد الدولة السنوي من ٢٣ مليون ليرة عام ١٥٩٧ الى ٣٩ مليون ليرة عام ١٦٠٩ (٢٨) .

لقد تم خلال فترة الاستقرار السابقة الذكر حفر كثير من الأنهار الصالحة للملاحة كما وضعت عدة مشاريع لحفر شبكة من القنوات تصل بين السين واللوار والجارون والرون . أيضاً جففت كثير من المستنقعات واستغلت في الزراعة واهتم بالكتب الزراعية حتى انه أمر بأن يقرأ له يومياً عدة صفحات منها بعد العشاء . واهتم بأدخال دودة القز في المقاطعات الفرنسية فهذا يوفر لفرنسا مبلغ أربعة ملايين من الجنيهات الذهبية تدفع سنوياً لأيطاليا . وتنازل عن ٢٠ مليون قيمة متأخرات الضريبة العقارية وأحيا العمل بقانون قديم يمنع الاستيلاء على أدوات الصناعات والزراعة وماشيتهم سداداً لديون حكومية او خاصة . كما رفعت العقوبات عن تصدير القمح بما رفع سعر التصدير وأحدث انتعاشاً وبذلت

عناية خاصة لتشجيع كثير من الصناعات مثل صناعة الحرير الذي وفر لفرنسا مبالغ ١٢ مليون جنيه من الذهب قيمة ما كان يستورد من منسوجات ميلان سنوياً فضلاً عن الصوف والسجاد وصناعة الحديد والصلب والزجاج والآنية واعيد الاهتمام بالمناجم ورفع إنتاجها . ان الطرق التي أهملت خلال الفوضى أعيد تعبيدها وانشئت الجسور في جميع أنحاء فرنسا فالتجارة لا تزدهر الا في ظل طرق صالحة . ثم عقدت معاهدات تجارية مع انجلترا والبرتغال بل وأسبانيا وانتشر الوكلاء التجاريون (القناصل) في جميع المراكز التجارية في العالم . وقد شجع النشاط الكولونيالي ومن ذلك تلك المحاولات التي قام بها شامبلين وسواه لاستيطان كندا واستغلالها . .

لقد رفع هنري الرابع شعاراً هو رخاء الشعب الفرنسي (دجاجة كل يوم أحد في وعاء كل فلاح) . وسعى لتحقيق ذلك عملياً بتوفير الأمن والاستقرار مع العدل في توزيع الضرائب وإنهاء التسبب في عمليات جمعها . وحاول في فترات السلم ضغط النفقات والاقبال من عدد أفراد الجيش العامل الى أقصى حد ممكن . إلا ان ما انفقته حكومة فرنسا على تعبيد الطرق وانشاء الجسور واحياء الاسطول لم يكن ليمثل الا شريحة بسيطة بجوار ما انفقته على بلاط فرنسا ونبلاتها . ولذا فإن بعض الكتاب يثير الشكوك حول مدى ما تحقق من الشعار السابق الذكر (٢٩) .

أما في مجال السياسة الخارجية فقد أمكن تجديد الاتفاقيات القديمة بين فرنسا وتركيا بحيث أصبح لفرنسا مركز ممتاز في عاصمة الدولة العثمانية التي كانت تسيطر اذ ذاك على الشرق وطرق التجارة التي تخترقه فأتاحت هذه السياسة لفرنسا الحصول على نصيب الأسد من تجارتها إذ

اصبح مسموحا لجميع السفن التي تحمل علم فرنسا ان تتاجر مع الليفانت كما انه عقد عدة معاهدات تجارية مع كـل من انجلترا وهولندا وكان لهذه المعاهدات الفضل في تنشيط عمليات التصدير وخاصة الخمر الفرنسية . .

اهتم هنري الرابع أيضاً بالجيش الملكي الذي ارتفع عدد فرقه الدائمة التي ترابط على الحدود من ٣ الى ١١ فرقة . واهتم بالفنون لانه كان مفتوناً بها كـبعض الملوك الآخرين بل لتقديره لما يمكن ان تصفيه على حكمه من رونق ومجد وخاصة متحف اللوفر (٣٠) .

وبينما يقود هنري الرابع فرنسا نحو المجد والعظمة بفضل الوحدة القومية التي رفع شعارها وحققها إلى حد كبير ، استطاع كاثوليكي متعصب ان يغتاله في ١٤ / ٥ / ١٦١٠ بطعنات مديدة حادة في جانبه الايسر بينما يستقل مركبته وذلك بدافع طائفي بحت هو اعتقاده بأن هنري قد خان الكاثوليك وتغلى عنهم وتحالف مع البروتستانت في المانيا . وقد تصور القاتل ان أهل باريس سيصفقون له ولكن الهجوم الذي خيم على جماهير الشعب والحزن الذي غلب عليهم من أجل ملكهم كان دليلاً على ارتقاء فكر الشعب الذي تحرر لحد كبير من طائفية البغيضة الممقوتة وقدر هذا الملك أو هذا الرجل لانه أعاد الأمن والسلام فقط الى ربوع فرنسا بل والأهم من ذلك لأنه أعاد اليها الروح القومية والوحدة القومية (٣١) .

الهوامش

(أ) الهدف الرئيس من هذه الدراسة هو مجرد الكشف عن الطائفية وما تتسبب فيه من ضياع وخراب ثم تتبع انتصار الوحدة التي تقوم على سيادة الروح القومية وما يمكن ان تعود به على البلاد من عزة وتقـدم متخذاً من أحداث فرنسا خلال هذه الحقبة بعض الأدلة .

- ١ - هربرت فيشر : أصول التاريخ الأوربي الحديث ص ١٨٣ - ١٨٤ .
د . عبد الحميد البطريق ، د . عبد العزيز نوار : التاريخ الاوربي الحديث ص ١٤٥ - ١٤٧ .

The New Cambridge Modern Hist Vol III pp . 265 -- 266 .

٢ - Victor . Tapie : France in the age of Louis XIII and Richelieu pp 21 -- 24 .

New Camb . Mode . Hist . Vol III pp 281 -- 283 .

٣ - فيشر : المرجع السابق ص ١٨٤ - ١٨٥ .

٤ - فيشر : ص ١٨٦ - ١٨٧ .

New Camb . Mod . Hist . Vol III . pp 283 -- 284 .

٥ - فيشر : ص ١٨٨ - ١٩٠ .

د . البطريق : المرجع السابق ص ١٥١ ، ١٥٣ .

N . Camb . M . Hist . Vol . III pp 287 -- 288 .

٦ - أخذ الملك الى شرفة القصر ليشاهد منها بعيني رأسه مذبحه سنت -

برتلمييو المريعه . ان ما شاهده ترك خطوطاً عميقه على فكره وضميره حتى امتنع عليه النوم من بعد ذلك ولاحقته اشباح القتلى وهم يهربون من قاتليهم واختل عقله أو كاد قبل ان يموت بعد عامين من تلك المأساة مجذبا كما قيل بتأنيب الضمير وعمره ٢٤ عاماً فقط .

البطريق : نفس المرجع ص ١٥٥ .

New . Camb . M . H . Vol . III pp 289 -- 290 .

٧ - فيشر : ١٩٠ - ١٩٢ .

البطريق : ١٥٣ - ١٥٤ .

N . C . M . H . Vol III . pp . 288 -- 290 .

٨ - Victor Duruy : A History of France Vol . II .

p . 72 .

N . C . M . H . p . 279 .

فيشر : ص ١٩٢ .

٩ - Victor . Tapie : Op . Cit , pp 21 -- 22 .

١٠ - Johnson , A . H . : Europe in the 16 .

Cent . 1494 -- 1592 . pp . 427 -- 428 .

١١ - Ibid . p . 432 .

فيشر : ص ١٩٠ - ١٩٤ .

١٢ - Johnson A . H : Op . Cit . pp . 430 -- 432 .

فيشر : ص ١٩٢ - ١٩٤ .

البطريق : ص ١٥٥ - ١٥٧ .

١٣ - Bindoff : Tudor England p 278 .

Grant A . J : The French Monarchy 1483 -- 1789 pp .
152 -- 154 .

١٤ - Ibid : pp . 155 -- 156 .

Reddaway W . F : Select Documents of European History
Vol II p . 101 .

Johnson : Op , Cit . pp . 433 -- 434 .

١٥ - Naml Cew . M . H . Vol . III 1559 -- 1610 p . 305

Grant : Op . Cit pp 156 -- 157 .

١٦ - الواقع ان أسبانيا ما كانت لتبال بفرنسا او بتحقيق أي حل
لصالحها - لقد تظاهرت أسبانيا بالرغبة في الحفاظ على المذهب الكاثوليكي
ولعبت بعواطف المتطرفين الطائفيين في فرنسا وغذت تعصبهم طمعاً في أن
يؤول أمر فرنسا في النهاية لها - وهذا هو أسلوب القوى الأجنبية .

١٧ - Grant : Op . Cit . pp 158 -- 162

١٨ - N . C . M . H . Vol III p . 305 .

johnson : Op . Cit pp . 434 -- 435 .

١٩ - Ibid : p 435 .

٢٠ - GtanT : Op . Cir . pp . 162 -- 164 .

٢١ - فيشر : المرجع السابق الذكر ص ١٩٤ - ١٩٥ .

CtanT Op Cit . p . 165 .

٢٢ - Ibid : pp . 165 -- 166 .

N . C . M . H . Vol III p . 306 .

johnson : Op . Cit : p 439 .

٢٣ - Ibid : pp 438 -- 445 .

Grant : Op Cit . pp 167 -- 168 .

Duruy : Op . Cit . Vol . II p 72 .

٢٤ - Ibid : P . III .

Grant : Op , Cit . pp . 169 -- 173 .

Johnson : Op . Cit : P . 442 .

٢٥ - Ibid : pp . 443 -- 444 .

Lord Acton : Lectures on Modern Hist . p . p .

170 -- 171 .

Grant . Op . Cit : p . p . 173 -- 176 .

فيشر : السابق ص ١٩٥ - ١٩٦ .

٢٦ - Wakeman H . O : The Ascendency of France .

1598 -- 1715 pp . 14 -- 18 , 22 -- 27 .

٢٧ - Ibid : pp 18 -- 22 .

٢٨ - N . C . M . H . Vol III p . 314 .

Duruy : Op . Cit . pp . 74 -- 75 .

٢٩ - Ibid : pp . 75 -- 79 .

N . C . M . H . vol . III pp . 314 -- 316 .

Poirson A . Histoire du Regne de Henry iv p . 199 .

Gaston Zeller : L'industrie en France avant Colbert .

٣٠ - Duruy : Op , Cit . pp . 77 -- 78 .

Wakeman : Op . Cit . pp . 17 -- 18 .

٣١ - Durny : Op . Cit : pp . 82 -- 83 .

المراجع

- ١ - هريوت فيشر : أصول التاريخ الأوروبي الحديث - من النهضة إلى الثورة الفرنسية . نقله إلى العربية د . زينب عصمت ، د . احمد عبد الرحيم وراجعه د . احمد عزت القاهرة - دار المعارف .
- ٢ - د . عبد الحميد البطريق ، د . عبد العزيز نوار : التاريخ الأوروبي الحديث بيروت - دار النهضة العربية - ١٩٧١ .
- ٣ - Lord Acton : Lectures on Modern Hist .
- ٤ - Armstrong E : The French Wars of Religion .
- ٥ - The New Cambridge Modern Hist . Vol , III .
- ٦ - Duruy V : A . Hist . Of France vol II London .
- ٧ - Grant A . J : The French Monarchy ١483 -- ١789 . vol I . 19١4 .
- ٨ - : The huguenots . ١934 .
- ٩ - Hayes J . H : Modern History ١934 .
- ١٠ - Johnson A . H : European the ١6 Century .
- ١١ - Poirson A : Histoire de Henry IV .
- ١٢ - Reddaway W . F : Select Documents of European History . vol III ١492 -- ١7١5 .

۱۳ - Tapie (victor) France in the Age of Louis XIII
trans . by D . MCN . Lockie ۱۹۷۴ .

۱۴ - Wake man H . O : The Ascendency of France .
۱۵۹۸ -- ۱۷۱۵ .

۱۵ - Willert P . F : Henry of Navarre and The Hugue nots
of France . ۱۸۹۳ .

۱۶ - Zeller (Gaston) : Lindustrie en France avant
Colbert .